الفصل الثانى

الأمن الفكري وأهميته

الفصل الثانى

الأمن الفكري وأهميته

تعريف الأمن الفكري:

الأمن والأمان في اللغة مصدران بمعنى الطمأنينة وعدم الخوف، قال ابن منظور في لسان العرب:

(الأَمانُ والأَمانةُ بمعنى وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف)(١).

والفكرُ في اللغة معناه: إِعمالُ النَّظَرِ في الشيءِ(٢)

أمَّا مصطلح "الأمن الفكري" فهو مكون من مجموع كلمتي "الأمن" و"الفكر"، وهذا المصطلح المركب حاولتُ البحث عن تعريف له، ولم أجد إلا تعريف الدكتور محمد الحضيف، حيث ذكر إنَّ معنى الأمن الفكري: هو إحساس المجتمع أن منظومته الفكرية ونظامه الأخلاقي، الذي يرتب العلاقات بين أفراده داخل المجتمع، ليس في موضع تهديد من فكر وافد، بإحلال لا قبل له برده، سواء من خلال غزو فكري منظم، أو سياسات مفروضة.(٣)

والأمن والخوف نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، بمعنى أن الإنسان لا تخلو حياته منهما فهو إما في أمن أو خوف، وليس الأمنُ متمثلاً في اطمئنان الإنسان على نفسه وماله فقط، بل يتعدى الأمن بمفهومه الشامل هذا الجانب إلى جوانب أخرى مهمة، فهناك الأمن الفكري والأمن النفسي والأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي.

ولأهمية الأمن في القرآن الكريم فإن الله سبحانه وتعالى قد امتنّ على الناس بالأمن، وهذا يدل على كونه نعمةً كبرى تستحق الشكر والمحافظة كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٤)

قال الحافظُ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

---

(١) لسان العرب- (باب أمن) الجزء(١٣) الصفحة (٢١)

(٢) القاموس المحيط، الجزء (١) الصفحة (٤٨٤)

(٣) موقع الدكتور/محمد الحضيف

(٤) سورة القصص- أية (٥٧)

يقول تعالى مخبرًا عن اعتذار بعض الكفار في عدم إتباع الهدى حيث قالوا لرسول الله ﷺ: {إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}

أي: نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى، وخالفنا مَنْ حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذى والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، فقال الله تعالى مجيبا لهم: {أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا} يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل؛ لأن الله جعلهم في بلد أمين، وحَرَم معظم آمن منذ وُضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق؟. اهـ.(١)

وامتن على أصحاب الحِجْر بالأمن والتطور الصناعي فقال: ﴿ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾(٢)

قال الشيخ السعدي رحمه الله:

{وَكَانُوا} من كثرة إنعام الله عليهم ﴿ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴾ من المخاوف مطمئنين في ديارهم، فلو شكروا النعمة وصدقوا نبيهم صالحا عليه السلام لأدرَّ الله عليهم الأرزاق، ولأكرمهم بأنواع من الثواب العاجل والآجل.(٣)

بل إن القرآن جعل الأمن المطلق ثواباً وجزاءً وإكراماً منه لأوليائه من أهل الإيمان فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(٤) وهذا يشمل الأمن في الدنيا والآخرة.

وجعل الله الأمن قرينا لأهل الإيمان في الدنيا والآخرة، إن هم قاموا بشريعة الله على الوجه الأكمل ففي الحياة الدنيا قال الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾(٥) وفي الآخرة قال الله أيضاً عن المؤمنين ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾(٦)

---

(١) تفسير ابن كثير الجزء (٦) الصفحة (٢٤٧)
(٢) الحجر آية (٨٢)
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الجزء (١) الصفحة (٤٣٤)
(٤) الأنعام آية (٨٢)
(٥) سورة النور آية (٥٥)
(٦) سورة النمل آية (٨٩)

وفي السنة النبوية نجد الذبي □ يصفُ المؤمن الحقيقيَّ بأنهُ من أمِنَ الناسُ شره، وهذا يجعلُ المجتمع المؤمن متمتعاً بالأمن على كافة الأصعدة الشخصية والمالية والفكرية والاجتماعية، قال عليه الصلاة والسلام " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم"[١]

رواه ابن ماجة وصححه الألباني[٢]

وقال □: "لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً" رواه أبو داود[٣] وصححه الألباني[٤]

بل إن الأمن يعتبر مقصداً من مقاصد الشريعة حيث حصر علماء الشريعة المقاصد الضرورية في حفظ النفس وحفظ النسل وحفظ المال وحفظ العقل، ولا يكون حفظُ هذه الضروريات وحمايتها بغير الأمن، ولو زال الأمنُ في أي مجتمع لأصبحَ حفظُ هذه الضروريات مستحيلاً.

يقول الشيخ الدكتور علي بن عمر بادحدح- عضو هيئة التدريس بجامعة الملك عبد العزيز بجدة- في محاضرة لهُ بعنوان "الإيمان والأمان في مواجهة العدوان"

إن الأمن الفكري والثقافي هو صمّام الأمان الأول، وهو خط الدفاع الأول إذا وقع فيه الاضطراب ما جاء بعده شر منه كما نرى- نسأل الله عز وجل السلامة- ممن يتقاذفون هذه المقالات، ويروجون هذه الشائعات، ويزينون هذه المفتريات والمبتدعات؛ لأنهم ليسوا على بينة من أمرهم كما قال الله عز وجل هنا: ﴿مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾.[٥]

ويقول فضيلة إمام المسجد الحرام الدكتور/ سعود الشريم حفظه الله في خطبة عن الأمن الفكري:

إنه في هذه العصور يعد هاجساً أمنياً لكل مجتمع، ألا وهو فالأمن الفكري الذي يحمي عقول المجتمعات ويحفظها من الوقوع في الفوضى، والعَبِّ من الشهوات بنهم، أو الولوغ في أتون الانسلاخ الأخلاقي الممزق للحياء الفطري والشرعي.

---

(١) رواه ابن ماجة برقم ٣٩٣٤

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٥٥٥

(٣) رواه أبو داود في الأدب ٨٥- والترمذي في الفتن ٣- وأحمد ٣٦٢/٥

(٤) صحيح الترغيب والترهيب برقم ٢٨٠٥

(٥) المحاضرة موجودة بالنص على موقع الشبكة الإسلامية على هذا الرابط:
http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=FullContent&audioid=116024

الأمن الفكري- عباد الله- ينبغي أن يتوج بحفظ عنصرين عظيمين؛ ألا وهما: عنصر الفكر التعليمي، وعنصر الأمن الإعلامي، إذ يجب على الأمة من خلال هذين العنصرين ألا تقع في مزالق الانحدار والتغريب، والتي هي بدورها تطمس هوية المسلم، وتفقده توازنه الأمني والاعتزاز بتمسكه بدينه، إذ إن الأمن على العقول، لا يقل أهميته عن أمن الأرواح والأموال، فكما أن للبيوت لصوصاً ومختلسين، وللأموال كذلك؛ فإن للعقول لصوصاً ومختلسين.

بل إن لصوص العقول أشد خطراً، وأنكى جرحاً من سائر اللصوص.

فحماية التعليم بين المسلمين من أن يتسلل لِواذاً عن هويته، وحماية التعليم في إيجاد الآلية الفعالة في توفير سبل العلم النافع؛ الداعي إلى العمل الصالح، والبعد عن التبعية المقيتة، أو التقليل من شأن العلوم النافعة، والتي لها مساس أساس في حياة الأمم، من الحيثية الشرعية الدينية، التي يعرف بها المرء ربه، وواجبه المفروض عليه، أو التهوين من شأن علوم الدين أو استثقالها على النفوس، لمن شأن ذلك كله أن تضعف المجتمعات بسببه، وأن تندرس معالم الأمن الفكري فيه إبّان عصر التحكم المعرفي، والاتصالات العلمية والثقافية التي غلبت على أدوار الأسر والبيئات، التي تنشد الصلاح العام.

أما الفكر الإعلامي- عباد الله- فهو مقبض رحى المجتمعات المعاصرة، وأقنومها الأساس، به يبصر الناس وبه يغربون، به تخدم قضايا المسلمين وتنصر، وبه تطمس حقائقها وتهدر.

بالفكر الإعلامي تعرف المجتمعات الجادة من المجتمعات المستهترة، المجتمعات المثلى من المجتمعات الناكبة.

فما يكون في الفكر الإعلامي من اعتدال وكمال، يكون كمالاً في بذية الأمن الإعلامي واعتدالاً، وقرة عين لمجموع الأمة بأكملها، وما يطرأ عليه من فساد واعتلال فإنه يكون مرضاً للأمة، يوردها موارد الهلكة والتيه.(١)

ولا شك أن انحراف الفكر الذي سبب انتشار ثقافة التفجير والتكفير في بلاد المسلمين، وما تبع ذلك من سفك دماء الأبرياء ورجال الأمن وغيرهم، وتخريب المنشآت الحكومية القائمة على مصالح المسلمين، كل ذلك ما كان له أن ينتشر ويخلف هذه الخسائر لولا اختراق سياج الأمن الفكري، وتسلل لصوص الفكر والثقافة الذين عبثوا بعقول أبناء الأمة وجندوهم ليكونوا أعداء جاهزين للتخريب والتدمير، وهذا يظهر ضرورة الحفاظ على هذا الأمن الفكري عن طريق الرجوع

(١) موسوعة الخطب والدروس، جمع: علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة- الإصدار الثالث

إلى العلماء الراسخين الموثوق بدينهم كأعضاء هيئة كبار العلماء في المملكة، فهم السياج المتين، وهم رجال الأمن المعنيون بأمن الفكر والعقيدة وفقهم الله.

وقد ظهرت بوادر اختراق الفكر وإفساده في عهد النبي ﷺ، وحذر الأمة من هؤلاء المفسدين المتشددين، ووضع أوصافهم واضحةً جليةً يستطيع كل فرد معرفتها، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قصة قسم النبي الكريم ﷺ لغنائم حنين حين زاد في العطاء لبعض فرسان نجد تأليفًا لهم فعارضه رجل فلما أدبر استأذن أحد الصحابة النبي ﷺ في قتله، فقال ﷺ:

"إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ "(١)

وهذ النص النبوي الصحيح يؤكد علينا أنَّ الشباب إذا ابتعد عن العلم الصحيح والعلماء الراسخين ولم تتبين له رؤية صحيحة ق واضحةٌ قائمة على هدي الكتاب والسنة فإنه تتزاحم في فكره انفعالات وسوانح فكرية، يختلط عنده فيها الصواب بالخطأ والحق بالباطل.

ولكون المملكة دولة إسلامية شرعية فقد أرست منذ نشأتها على يد الملك عبد العزيز يرحمه الله دعائم وأسس الحفاظ على الأمن الفكري، حيث نص النظام الأساسي للحكم في (المادة الأولى) الصادر بالأمر الملكي رقم:

أ ٩٠ وتاريخ ٢٧ ٨ ١٤١٢ه- على أن المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة، دينها الإسلام ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وذلك لعلم ولاة الأمر بأن الحفاظ على الأمن الفكري لا يكون إلا من خلال السير على نهج الكتاب والسنة، ولذلك جعلت المملكة العربية السعودية الواجهة الممثلة لها الواجهة الشرعية بشكل مباشر على علمها، وعلى ألقاب ولاتها الذين يتشرفون بخدمة الحرمين.

وما يشيع في ربوع هذه البلاد من نور العلم الإسلامي المشتمل على العقيدة الصافية، والأوامر والنواهي الإلهية التي قمات عليها الدولة السعودية هي في الحقيقة تدابير وقائية للحفاظ على الأمن الفكري حمى الله تعالى بها العقول والأفكار من المبادئ الهدامة، من مختلف مصادر الضلال، فقد اجتثت ما نبت من جذور الشرك، لما عرف الناس بنور العلم، فحوربت البدعة والخرافة والشعوذة والإرهاب، وجميع ألوان الفكر المنحرفة بشتى صورها،

---

(١) صحيح البخاري- الجزء (٦) الصفحة (٤٧٠) رقم الحديث (٢٤٩٩)

وبذلك أمن الناس على أفكارهم فما عادت تنطلي عليهم الأمور، ولا يغرهم في متاهات الانحراف الفكري والارتكاس العقلي الغرور.[1]

ولأنَّ الفكر الإرهابي المنحرف المعتمد على تكفير المسلمين حكامًا ومحكومين وأفرادا ومؤسسات ودولًا وحكومات ظهر في السنوات الماضية، وانتمى إليه بعض أبناء الوطن وخربوا البلاد بأفعالهم المبنية على القناعات بهذا الفكر المنحرف فقد سعتْ الجهات الشرعيةُ والتعليميةُ لتعزيز الأمن الفكري في نفوس عامة المسلمين، ولذلك أصدر مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية- وهو أعلى مؤسسة شرعية علمية فيها ويشمل في عضويته عددًا من العلماء- أصدرَ في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة في الطائف بتاريخ ١٤١٩/٤/٢ه- بيانًا حول هذا الموضوع قرر فيه: أن التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفرًا أكبر مخرجًا من الملة، ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يُدرأ بالشبهات، ولذلك حذّر النبي من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر فقال: « أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه » رواه البخاري ومسلم.

كما أصدر المجلس في دورته التاسعة والخمسين التي انعقدت في مدينة الطائف بتاريخ ٦/١١ /١٤٢٤ه- بيانًا يوضح الرأي الشرعي حول الخلايا الارهابية التي تم اكتشافُها من قبَل أجهزة الأمن وفي البيان تفنيدٌ لأفكارها ومناهجها وسلوكياتها[2]

لا بد من ضرورة نشر الوعي بأهمية الأمن الفكري، وربط الناس بالعلماء الكبار الموثوقين، فهم رجال الأمن الفكري الحقيقيون الذين يحمي الله بهم الأمة من الفكر المتطرف المنحرف الدخيل، والذي يهدف لضياع الأمة وتشتيتها، وفتح أبواب الشبهات والشهوات، وهذا أمرٌ ينبغي أن تقوم به المؤسسات التعليمية ممثلةً في المدارس والجامعات، لأنَّ أغلب المستهدفين بحملات تلويث الفكر هم أبناء الأمة الذين تحتضنهم المدارس والجامعات، وأتوجه بالشكر الجزيل للدكتورة الفاضلة

---

(١) موقف المؤسسات الشرعية في المملكة العربية السعودية من الإرهاب والعنف والتطرف إعداد: د. علي بن راشد الدبيان- القاضي بوزارة العدل.

(٢) موقف المؤسسات الشرعية في المملكة العربية السعودية من الإرهاب والعنف والتطرف إعداد: د. علي بن راشد الدبيان- القاضي بوزارة العدل.

غزيل الدوسري، التي أتاحت لي القراءة والاطلاع على أهمية هذا الموضوع الهام جداً، والتي سخرت نفسها جنديةً لحمية أمن الفكر، وذلك بإلحاحها الدائم بضرورة الارتباط بالعلماء الأجلاء الموثوقين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.